رسالة الربيع

للاستاذ عبد الحميد العبادى

لو تمثل هذا الربيع لكان إنسانا ، ولكان شابا رائع الشباب ، مشرق الطلعة ، حلو الشمائل ، معطاء بكلتا اليدين ، يملأ العيون والقلوب مهابة وجمالا . أفلا يرى القارىء تصديق هذا التصوير فيما يأخذه الحس والشعور من الطبيعة فى أيامنا هذه : من اعتدال جو وانبعاث شمس ، وايراق شجر ، وتفتح زهر ، وترنم طير ، وتتابع خير ؟ أفلا يرى أن كل مظاهر الطبيعة قد غدت ولسان حالها يصيح بمن يمر : ألا ترانى فتفهم حكمة الخالق العجيب ؟

ولكن وارحمتاه للناس ! إنهم عن هذه الدعوة الكريمة فى شغل شاغل ، « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » لقد شغلوا بالعرض عن الجوهر ، وبالسفاف

ولا يخزله طمع ، ولا يقعد به عجز السنين التسعين عن قيادة الشباب الى صراع حامٍ دامٍ بين حق أعزل وباطل مسلح ! !

لو كانت قضية فلسطين قضية رياسة وسيادة وغلب لكان فى كل مكان سبيل الى الخلاف ودليل الى الفرقة ، ولكنها قضية الحياة والموت ؛ وللحياة طريق تهدى اليها الفطرة ، وقافلة تدل عليها الطبيعة ؛ فالأمر من هذه الناحية مختلف بين فلسطين وبين العراق ومصر

ولا ريب أن المستقبل الذى يتمثل لشباب فلسطين فى أبشع صوره سيذهلهم عن ثمرة العصبية ، ويلهيهم عن شهوة الخصومة ، فلا يرون الا عدوا واحدا هو الواغل المتقحم ، ولا يستمعون الا قولا واحدا هو قول زعيمهم الخالد وهو يجود بنفسه :

« . . . قضية العرب فى فلسطين أمانة فى ذمتكم فجاهدوا فى سبيلها ، فان فعلتم ارحمونى فى قبرى »

عزى الله الامة العربية أجمل العزاء عن فقيدها الغالى ، وأحيا فى خواطر أبنائها النبلاء مثله العالى ، وجعل رضوانه عليه ثواب ما بذل فى سبيلها من ماله وجهده ونفسه ؟

الزيات

إلخ عن الجميل الجليل . انهم يوشكون أن يميت قلوبهم ويغول نفوسهم العشق بالأسواق

رحم الله أسلافنا الأقدمين وآباءنا الأولين . لقد كانوا أقرب منا الى الطبيعة ، وأبر بهذا الربيع وأحسن استقبالا له . فالمصريون القدماء على شدة تفكيرهم فى الحياة الآخرة ، لم يهملوا الأخذ بأسباب التمتع بهذه الحياة الدنيا . كانوا كلفين بالطبيعة ، وحياة الطبيعة . وهل شىء أبهج للخاطر وأسر للقلب من الطبيعة وحياة الطبيعة ؟ لقد فتنوا بنهرهم المتدفق الوقور فقدسوه وعبدوه ، وكلفوا بالزهر حتى لقد اتخذوا منه رمزا وشعارا لملكهم السياسى ، فكانت الزنبقة رمز مملكتهم الجنوبية ، وزهرة النيلوفر رمز مملكتهم الشمالية . وصاغوا تيجان الاعمدة التى تنهض بمعابدهم على مثال براعم البردى ، والنيلوفر ، ورؤوس النخيل . وكانوا يحتفلون لمقدم الربيع احتفالا بقيت لنا منه آثارة نلحظها فى عيدنا الطبيعى الوحيد المعروف « بشم النسيم » .

وكان الفرس القدماء من أشد خلق الله حبا للزهر والماء والجو الطلق ، لذلك جعلوا « النيروز » الذى هو أول الربيع أعظم أعيادهم ، وأسبغوا عليه هالة من التقديس والاجلال ، فزعموا ان الله فرغ فيه من خلق الخلائق ، وانه يقسم فيه السعادة لأهل الارض ، ولذلك سموه « يوم الرجاء » ، ولفرط شغفهم بالربيع كانوا اذا هجم الشتاء وألح على بلادهم المطر والبرد والثلج اعتاضوا عن مناظر الربيع الطبيعية بصور لها قد وشيت بها بسطهم وسجادهم الشهيرة بحيث اذا جلسوا عليها للطرب والشراب خيل اليهم انهم فى روضة معطار من رياض الربيع . وإن من يطالع الأدب الفارسى جملة يجده عبقا بعبير الورد والزنبق والبنفسج والياسمين وغيرها من فنون الرياحين

أما العرب فربيع بلادهم هو حياتها على الحقيقة دون المجاز ، فاذا أقبل عرفوه بتألق البرق وجلجلة الرعد ، بالغيوث الهامطة والأودية السائلة ، فاذا كان ذلك اخضرت المراعى واعشوشبت الوهاد والنجاد ، ونعم بآثار ذلك كله الانسان والحيوان . وكان ملوك بنى أمية جريا على مقتضى غريزتهم البدوية إذا أقبل الربيع برزوا الى بادية الشام فقضوا شهوره فى قصور اتخذوها لذلك خاصة . ولا تزال آثار تلك القصور ماثلة الى اليوم . فلما اختلط العرب بالفرس أخذوا عنهم عادة الاحتفال بالنيروز الفارسى . فكان عمال بنى أمية

البقية على صفحة ٥٥٨